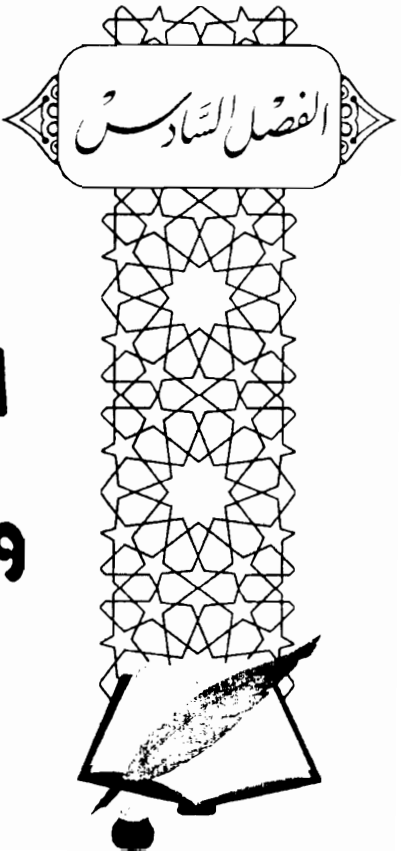

الوجود والأعناق والأفئدة والسوق

الفصل السادس

الوجوه والأعناق والأفئدة والسوق

جانب آخر من جوانب حديثنا عن الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم، وقد ارتبطت بشدة بجسم الإنسان، سوف نفسح لها كل أوراق هذا الفصل الجديد، وذلك على طريق بيان هذه الأماكن وأهميتها، وكيف كرم الله تعالى بنى آدم بمنحه هذه العطايا العظيمة التى كانت سبيله لحياة طيبة ما دام يحافظ عليها.

ولقد أخبرنا ربنا تعالى بأهمية هذه الأماكن وضرورة أن نتفكر فيها ونتدارسها، من أجل تحقيق هدفين رئيسين أحدهما يرتبط بالدنيا التى نعيشها والتى يؤدى فيها جسدنا دوراً مهماً يساهم فى تعمير الأرض واستمرار العيش بها.

والهدف الثانى هو التفكير فى قدرة الله تعالى وعظمته فى تسخير هذه الأماكن أو ما يسميه علماء الطب بالأعضاء من أجل خدمة ذلك الإنسان، واستمرارها بقوة وبصحة وبتألق ما دامنا لا نهملها ولا نعرضها إلى المهالك، بل وما كان من أمر الله تعالى فيما خص به الإنسان ذاته من أعضاء بعينها لم تتوافر لمخلوق غيره، مثل السمع والبصر والعقل والقدرة على التفكر من أجل تحقيق غد أفضل.

والحديث عن الأماكن المشهورة فى جسد الإنسان سوف يبعدنا ربما بوصات قليلة عما ذهب إليه علماء الطب وما توصلوا إليه من نظريات علمية تطبيقية وغير تطبيقية بشأن ما يسمونه بالأعضاء.. ذلك لأن هؤلاء الأطباء نظروا إلى جسد الإنسان وما به من ظاهر وباطن إلى كونه مجموعة من الأعضاء تؤدى دورها فى تكامل وتناغم غير مسبوق، وذلك بإرادة الله العظيم الذى خلق لنا هذه الأعضاء و تلك الأماكن.

وسبب اختلافنا فى الحديث القادم مع هؤلاء العلماء والأطباء هو أننا سوف نتناول جسد الإنسان كوحدة واحدة، مقسمة إلى عدة أماكن رئيسية ، وكل مكان أو كل وحدة يكون لها دور فى جسم الإنسان ومن حق العلماء والأطباء أن يقولوا أنها مكونة بالفعل من أعضاء.

ونضرب لذلك مثالاً أو مثالين.. فإذا ما نظرنا إلى تكوين جسم الإنسان من أعلاه إلى أسفله سوف نكتشف بأن هناك وحدة متكاملة تعمل بتناغم وتكامل مذهل، ونعنى بها رأس الإنسان وما بها من أعضاء كثيرة ومتنوعة وتكمل بعضها البعض، وكذلك الوجه، وأيضاً ما به من أعضاء تكمل بعضها البعض وتتكون في ذات الوقت من أعصاب ثم من لحم ودم، وكذلك الصدور والجباه والأعناق وخلافه.

وقس على ذلك بقية مكونات الجسد وما به من أماكن نرى بعضها ظاهرللعين والآخرى بداخل هذا الجسد، وبالتالى لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكن باللجوء إلى الأجهزة الطبية الحديثة.

إذن حديثنا القادم ينظر وكما سبق إلى جسد الإنسان على أنه مجموعة من الأمكنة الرئيسة وربما نقول كما قال الأطباء بأن فى كل مكان من هذه الأمكنة مجموعة من الأعضاء.

ولا شك أن استعراضنا لهذه الوحدات أو لتلك الأمكنة سوف يساهم كثيراً فى تقريب ما نصبوا إليه من الوصول إلى ما نفكر فيه وما نريد أن نحققة من نتائج.

إن جسم الإنسان وفق هذه الرؤية الخاصة يتكون من مجموعة من الأماكن البارزة، هذه الأماكن هى: رأس الإنسان وما بداخله من عقل أو لباب.. وما فوق هذه الرأس من شعر يغطيها ويحميها من برد الشتاء وحر الصيف، ومن بعد الرأس نشاهد الوجوه وبداخلها أو فى حيزها العين والشفاه والألسن والأذن والأنف. ثم الجباة، والأعناق وما بداخلها من شرايين، وكذلك الصدور والأفئدة والظهر والبطن والاجناب والأيدى والأرجل والسوق أو السيقان. ثم الفروج، وأخيراً الدماء التى تجرى فى العروق بلا توقف إلا حين يموت الجسد.

بل وأكثر من ذلك فإننا نرى أن الحديث المفصل عن هذه الأماكن وما جاء بشأنها فى القرآن الكريم سوف يوضح ما نريده أكثر. فتعالوا إلى هذه الأماكن وما بها من أعضاء.

** الرءوس .. نواصينا بيد الله:

إذ ما نـظرنا إلى جسم الإنسـان وأردنا أن نتفـحص مكوناته.. سوف نكتـشف أن هذا الجسم يبـدأ من أعلى أى من الرأس.. وتلك من عظمة الله تعـالى وتكريمه تعالى للإنسان.

هذه الرأس جـعلها ربنا دائمـا مرفـوعة إلى أعلى وبالتـالى لا يجب أن تنحنى إلا إلى خالقـها تعالى. خاصـة بالسجود إلى ربنا الكريم الذى خلقنا فى أحـسن صورة، وإذا ما انحنت هذه الرأس لغير الله تعالى .. فإنها تعنى الانكسار والتذلل!، وما أكثر ما نرى صـوراً لهذه الحالات التى يكون فيـها الإنسان ضعـيفاً مهـاناً، حين يقف أمام جبار أو ظالم أو متعجرف، يستعطفه أن يرحمه أو أن يترفق به وبحاله.

والعكس هو الصحـيح حين نجد ذلك الإنسـان يقف شامخـاً رافعاً رأسـه فى عزة وإباء، ولا يخشى فى الله لومة لائم.

وهناك فروق كثيرة نشعر بها حين ننكس رءوسنا سجوداً لله تعالى فنحن أمام رب العالمين وبين يديه نشـعر بالراحة والأمان. فى حين نشـعر بالذلة والمسكنة حين ننكس هذه الرأس لغير خالقها!

إنك حين تسـجـد بين يدى الله وتجعـل رأسك تلامس الأرض التى خُلقت منهـا، تشعر بسعادة ما بعدها سـعادة، بل وإن سجودك بين يدى الله تعالى يقربك إلى الخالق العظيم، ويجعل دعاؤك مستجاباً وفق مـا أخبرنا به رسولنا الكريم فى قوله الشريف: «إن أقرب مـا يكون العـبد عند ربه وهو سـاجد».. ولذلك يُسـتحب الدعـاء فى هذا الموضع الكريم .

وحين يتطرق الحـديث عن رأس الإنسـان فى القـرآن الكريم سـوف نجـد أن هذه الرأس تحظى باسم آخر حيث نقرأ عنها بأنها الناصية!

ولسوف يتضح ذلك بجـلاء حين نتناول الآيات القرآنية الشريفـة التى حدثتنا عن رأس الإنسان أو ناصـيتـه، ولكننا من قبل أن نشـير إلى هذا الحديـث المفصل نود أن

نشير إلى أن رأس الإنسان يوجد بها تجويف أسفل شعره، هذا التجويف يحفظ أعظم ما يملك الأنسان ألا وهو العقل والذى يطلق عليه الأطباء إسم المخ، فى حين يسميه لنا القرآن الكريم اللباب أو اللب وجمعه الألباب.

من هنا نعتبر أن رأس الإنسان هو أهم مكان فى جسده.. ولذلك فقد إتخذ أجدادنا هذه الرأس فى كل أمثالهم وأقوالهم المأثورة.

وهناك مؤلفات كثيرة حدثتنا عن رأس الحكمة ورأس الأفكار، وغير ذلك من الأقوال التى اتخذت من رءوسنا دليلاً على الحكمة والتعقل والتفكر وحسن التدبر.

ونفس هذا المعنى أشار إليه معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا بأن الرأس من كل شيء.. أعلاه ومنه رأس الإنسان بأعلى جسمه وينبت فيه الشعر ويجمع علي كلمة رءوس.وأكثر ما ورد بالقرآن الكريم يتصل برأس الإنسان.

ويضيف المعجم أن الله تعالى حين أراد أن يشير إلى شعر الإنسان قال فى كتابه العزيز: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أى شعر الرأس.

ويعدد لنا المعجم الآيات والسور التى جاء بها ذكر رأس الإنسان. ففى الآية (٤) فى سورة مريم قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وفي سورة الأعراف الآية (١٥٠) فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾.

كما يشير المعجم ذاته إلى أن القرآن الكريم قد حدثنا كذلك عن ألفاظ عدة مثل: «رأسه» و«رأس» و«رءوسكم» و«رءوسهم»، وذلك فى سورة البقرة الآية (١٩٦) وفى سورة يوسف الآية (٤١)و (٤٨) فى سورة الدخان، حيث أشار ربنا إلى كلمة «رأسه». أما كلمة «رأس» كمكان مشهور فقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة طه الآية (٩٤) وفى سورة يوسف الآية (٣٦)، أما عن كلمة «رءوسكم» فقد أشار إليها القرآن الكريم في الآية التى يقول فيها ربنا الكريم : ﴿وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ الآية (١٩٦) فى سورة البقرة كما جاءت نفس الكلمة فى كل من سورتى المائدة الآية (٦) و (٢٧) الفتح.

فى حين ذكر لنا كتاب الله لفظ أو كلمة «رُءوسهم» والمراد بها رأس الإنسان فى قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ الآية (٤٣) فى سورة إبراهيم و(٥١) الإسراء و(٦٥) الأنبياء و (١٩) الحج و(١٢) السجدة و(٥) المنافقون.

وإذا ما قمنا بعمل حصر سريع لما جاء فى شأن رأس الإنسان فى كتاب الله باعتبارها أحد الأماكن المشهورة فى جسم الإنسان وأيضاً فى القرآن الكريم فسوف نكتشف أن الله تعالى قد ذكرها فى ١٦ آية كريمة. وقد جاءت كلها فى ثلاثة عشرة سورة كريمة، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية هذا المكان بالنسبة للإنسان ولحياته ومعيشته وأسباب تعميره للأرض التى خُلق فوقها.

ويكفى هذا الرأس شرفاً أنها تسجد لله تعالى، كما أن بها ما نسميه العقل أو اللب أو الألباب، تلك الألباب التى احتفل بها كتاب الله أيضاً بدليل أنه قد جاء ذكرها فى ست عشرة آية هى : (١٧٩) البقرة، واللفظ فى(١٩٧) و(٢٦٩) البقرة أيضاً، و(٧)و (١٩٠) آل عمران، و(١٠٠) المائدة و(١١١) يوسف، و(١٩) الرعد، و(٥٢) إبراهيم، و(٢٩)و(٤٣) ص، و(٩)و(١٨)، (٢١) الزمر، و(٥٤) غافر وأخيراً فى سورة الطلاق الآية(١٠) .

والألباب معناها العقول، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

ونجد فى كثير من آيات كتاب الله أن هناك ربطاً مؤكداً بين قوة الإيمان والعقيدة والتوحيد بالله الكريم وبين أصحاب الألباب الذين يخاطبهم رب العالمين باعتبارهم أهل العقول فى مجتمعاتهم وبين أهليهم.

ولقد تبين لنا ذلك بوضوح فى قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ الآية(١٠٠) .وفي قوله تعالى فى سورة يوسف:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ الآية (١١١)، وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ الآية (٥٢) فى سورة إبراهيم. فاللهم اجعلنا من

أصحاب العقول التى تتفكر فى خلق الله، ومن أصحاب الألباب التى تؤمن بالله بلا حدود أو شك أو رياء، ذلك لأن الله تعالى قد ميز هؤلاء الذين وصفهم بأولى الألباب عن غيرهم من البشر.

ومن قبل أن ننتقل إلى حديث جديد عن مكان جديد فى جسم الإنسان.. رأينا ضرورة الحديث كذلك عن الرأس كما جاء عنها فى كتاب الله فيما يخص لفظ «الناصية»، إذ قال الله تعالى فى سورة الرحمن وفى الآية (٤١) : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾.

وفى تفسير أصحاب الجلالين لهذه الآية: أن هؤلاء المجرمين سود الوجوه ولهم عيون زرقاء يؤخذون حيث تضم ناصية أى رأس كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى بهم فى النار.

أما الإمام الطبرى فيقول فى تفسيره عن النواصى والمذكورة فى الآية السابقة أن الملائكة قد عرفت هؤلاء المجرمين من علاماتهم حيث هم سود الوجوه زرق العيون، وبالتالى يأخذهم زبانية جهنم حيث يسحبون إلى جهنم وتقذفهم فيها.

ونستطيع أن نفهم مما مر علينا آنفا أن الله تعالى عندما جعل رأس الإنسان مناط تكريمه فى الدنيا.. قد جعلها كذلك إحدى علامات تعذيبه في الآخرة عندما يبتعد عن الطريق المستقيم وبالتالى يبتعد عن عبادة الله رب العالمين. وما نود أن نشير إليه فى ختام الحديث عن الرءوس أن الله تعالى قد ذكرها لنا فى كتابه العزيز مصحوبة بكلمة ﴿رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ فى سورة البقرة الآية (٢٧٩) ولفظ ﴿ رءوس الشياطين﴾ فى سورة الصافات الآية (٣٥).

** وجوه.. ناعمة ومظلمة:

لقد رأينا من قبل الحديث المفصل عن الوجوه كأماكن مشهورة فى كتاب الله والتى جاء ذكرها ضمن مشتملات ومكونات جسم الإنسان، ضرورة أن نستعرض سوياً أعضاء هذا ا لوجه أو مكوناته وفق ما رآه الأطباء وما أكد عليه العلماء،

وحاول مثلى أن تنظر لمن يجلس حولك خاصة إلى وجهه كى تستطلع قدرة الله وعظمته وتكريمه للإنسان، سوف تكتشف أن هذا الوجه رغم اختلاف جماله ولونه من حيث البشرة يتكون وفى كل الأجسام التى خلقها الله، خاصة لبنى البشر من عينين وشفتين وأذنين ولسان واحد. وكذلك من أنف واحدة أيضاً، وشفتى الإنسان هى مدخل فمه الذى يوجد بداخله أسنان ثم لسان، هذا الفم الذى يحمل للإنسان كل مظاهر الحياة والتفاعل مع من حوله، كما يضمن له البقاء باعتباره بوابة الطعام.

كل ذلك يحويه وجه الإنسان الذى خلقه لنا رب العالمين، والذى يحمل كذلك ما يحدد اختلاف شكل كل منا عن الآخر سواء أكان ذكراً أم أنثى.

والحديث عن الوجه أو الوجوه.. وفق ما جاء فى القرآن الكريم لا بد وأن يبدأ بذكر الآية أو الآيات القرآنية التى جاء بها ذكره. ومعجم ألفاظ القرآن الكريم يحدثنا عن ذلك وبالتفصيل، وهو يبدأ هذا الحديث بتعريف كلمة وجه والتى يقول عنها: الوجه ما تواجه به الناس من الرأس وفيه معظم الحواس، كما يذكر لنا ذات المعجم أن كلمة وجه جاءت على أكثر من لفظ فى كتاب الله.

ففى سورة يوسف الآية (٩٣) ذكر ربنا تعالى كلمة «وجه»: ﴿وَجْهِ أَبِي﴾ أيضاً الآية (٩) فى السورة نفسها. وكذلك لفظ «وجهه» كما جاء فى سورة يوسف أيضاً الآية(٩٦) واللفظ فى سورة النحل الآية (٥٨) و(١١) الحج و(٢٤) الزمر و(١٧) الزخرف و(٢٢) الملك. وفي قوله تعالى فى سورة البقرة الآية(١١٢) :﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، واللفظ فى سورة النساء الآية(١٢٥) و(٥٢) الأنعام و(٢٨) الكهف، و(٨٨) القصص و(٢٢) لقمان. ثم لفظ «وجهها». مثلما جاء فى سورة الذاريات الآية (٢٩) وفى قوله تعالى :﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

ثم ذكرت كلمة «وجه» على سبيل الجمع فجاءت كلمة «وجوه» فى آيات وسور متعددة مثل الآية (١٠٦) مكرر فى سورة آل عمران واللفظ فى (٧٢) الحج و(٢٧) الملك و(٢٢) و(٢٤) فى القيامة و(٣٨) و(٤٠) فى عبس، و(٢)و(٨) فى سورة الغاشية.

كما جاءت نفس الكلمة مضافاً إليها ألف مثل كلمة «وجوهاً».. فى سورة النساء الآية(٤٧) وجاءت كذلك مضافاً إليها الألف واللام.. «الوجوه» فى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ الآية (٢٩) فى سورة الكهف. وكذلك فى سورة طه الآية(١١١) .

ليس هذا فقط، بل جاءت الكلمة ذاتها مضافاً إليها كاف وميم فأصبحت «وجوهكم» مثل قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ الآية (١٤٤) البقرة. واللفظ فى الآيات (١٥٠)و(١٧٧) البقرة أيضاً و(٤٣) فى سورة النساء و(٦) مكرر فى المائدة و(٢٩) فى الأعراف.

إضافة إلى ذلك جاءت كلمة «وجوهكم» بمعنى ذواتكم فى الآية (٧) من سورة الإسراء .. وكذلك جاءت كلمة «وجوههم» فى سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الآيتين (١٠٦) واللفظ فى (١٠٧) من نفس السورة، والآية (٥٠) فى الأنفال و(٢٦) و(٢٧) يونس ، و(٥٠) إبراهيم، و(٩٧) الإسراء، و(٣٩) الأنبياء، و(١٠٤) المؤمنون، و(٣٤) الفرقان. و(٩٠) النمل، و(٦٦) الأحزاب، و(٦٠) الزمر، و(٢٧) محمد، و(٩) الفتح، و(٤٨) القمر، و(٣٤) المطففين.

ولكى يوضح لنا ربنا تعالى أهمية الوجه فى حياة البشر.. ذكر لنا فى سورة آل عمران وفى الآية (٤٥) مامعناه أن الوجه يقصد به الشرف والمنزلة، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

كما جاء نفس هذا اللفظ فى الآية (٦٩) من سورة الأحزاب.

***

وإذا ما أغلقنا هذا المعجم الأمين من أجل الحديث عن الوجه خارج نطاق ما جاء بشأنه فى كتاب الله العزيز.. فإننا نؤكد على أن الحديث عن وجه الإنسان وأهميته وقيمته سواء فى الدنيا أو فى الآخرة يتطلب أكثر من كتاب، نظراً لضرورة أن نتحدث عن ذلك الوجه من كل الوجوه طبياً ونفسياً ودينياً، ولكن يكفينا فى هذا المقام حديث كتاب الله العظيم والذى سوف نستكمله بحديث آخر يرتبط بالوجه

ارتباطاً مباشراً ألا وهو ما سوف نتناوله من أعضاء داخل هذا الوجه والتى سبق لنا وتناولناها فى بداية الإشارة إلى ما فيه من أعضاء عددناها بكل أمانة.

ونبدأ الرحلة «بالعين» وما جاء بشأنها فى كتاب الله.. ولسنا فى حاجة بطبيعة الحال إلى الخروج عن نطاق حديث كتاب الله عن هذا العضو المهم فى الوجه وفى جسم الإنسان بشكل عام إذ إن هناك العشرات من المؤلفات التاريخية والفسيولوچية والطبية التى حدثتنا ولا تزال تحدثنا عن عين الإنسان.

يقول معجم القرآن الكريم: العين هى عضو الإبصار، وجاءت فى كتاب الله مرتبطة بكلمة قرة عين وذلك فى الآية (٩) فى سورة القصص فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ ثم جاءت بمعنى حسنة العين واسعتها كما جاء فى سورة الصافات (٤٨) واللفظ فى(٥٤) الدخان و(٢٠) الطور و(٢٢) الواقعة.

بل وأكثر من ذلك فقد جاء ذكر العين بلفظ «أعين» أى جمع عين، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الآية (١٧٩) فى سورة الأعراف واللفظ فى(١٩٥) الأعراف أيضاً و(٧٤) الفرقان و(١٧) السجدة، كما جاءت مصحوبة بأداة التعريف «الأعين» فى سورة غافر (٩) واللفظ فى (١٧) الزخرف.

ثم جاءت كذلك فى لفظ «أعين الناس» فى الآية (١١٦) الأعراف واللفظ فى (٦١) الأنبياء. ولفظ «أعينكم» فى الآية (٤٤) الأنفال و(٣١) هود. ولفظ «أعيننا» فى قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الآية (٣٧) هود واللفظ فى (٢٧) المؤمنون و(٤٨)الطور و(١٤) القمر، وكذلك لفظ «أعينهم» فى الآية (٨٣) المائدة، واللفظ فى (٤٤) الأنفال و(٩٢) التوبة و(١٠١) الكهف و(١٩) الأحزاب و(٦٦) يس و(٣٧) الفجر. وأخيراً لفظ «أعينهن» فى الآية (٥١) فى سورة الأحزاب.

وإذا ما تركنا العين لنبحث عما يليها من أعضاء داخل تجويف وجه الإنسان سوف نتوقف فوراً أمام «الشفاه» التى هى بوابة فم ذلك الإنسان، وقد جاءت فى كتاب الله تحت لفظ «شفتين» أى ذلك الجزء اللحمى الظاهر من الفم والتى تستر الإنسان.

وجاء ذكرها بهذا اللفظ فى الآية (٩) فى سورة البلد وفى قوله تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

وفى تعليق الدكتور أحمد شوقى إبراهيم على معنى هذه الآية يقول: إن الله تعالى لم يترك الإنسان، فقد أرسل إليه رسله بالمنهج القويم الذى كان يجب عليه أن يفهمه ويردده بلسانه وشفتيه سعياً للهداية فى الدنيا والفوز بالآخرة.

وفى داخل فم الإنسان والذى يقف على بوابته هاتين الشفتين توجد أعظم وسيلة مخاطبة خلقها رب العالمين لنا.. ألاوهو اللسان أو الألسنة أو الألسن!.

ولقد احتفل به القرآن الكريم احتفالاً عظيماً ظهر جلياً فى كثرة الآيات والسور التى ذكر فيها، وكما نعرف فإن هذا اللسان هو عضو فى الفم كما يقول معجم القرآن الكريم ووظيفته التذوق والنطق، وجاء ذكره فى كتاب الله على سبيل الجمع ككلمة «ألسنة» وذلك فى قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ الآية (١٩) فى سورة الأحزاب.

وحاولوا معى أن تتدبروا هذا المعنى الخطير والذى أشارت إليه هذه الآية، إذا أخبرتنا بالوظيفة السيئة لذلك اللسان الذى نستبدل به الحديث الطيب والمرتبط بذكر الله وترديد حسنات الإنسان، باستخدام ألفاظ مسيئة وصفها كتاب الله بالسياط التى نستخدمها فى جلد أجسامناً!!!

كما جاء نفس اللفظ بصيغة الجمع «ألسنتكم» فى سورة النحل الآية (١٦) واللفظ فى الآية (١٥)، وكذلك لفظ «ألسنتهم» فى سورة آل عمران الآية (٧٨) واللفظ فى (٤٦) النساء و(٦٢) النمل و(٢٤) النور و(١١) الفتح و(٢) الممتحنة.

وفى إشارة صريحة فى كتاب الله إلى اللسان كوسيلة للغة والتخاطب والتفاهم، قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية (١٠٣) النحل واللفظ فى (١٩٥) الشعراء.. ثم باعتباره عضو.التكلم كما فى الآية (٩) فى سورة البلد، وأيضاً ارتباطه بالنطق كما جاء فى لفظ «لساناً» فى الآية (٣٤) فى القصص واللفظ فى (١٢) الأحقاف.

وفى موضع آخر من كتاب الله الكريم هناك إشارة إلى اللسان على أنه اللغة ذاتها، مثلما جاء فى الآية (٧٨) المائدة، واللفظ فى (٤) إبراهيم و(١٠٣) النحل.

ليس هذا فقط بل لقد احتفل كتاب الله أكثر بلسان الإنسان فجاء كلفظ «لسانك» فى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٩٧) مريم واللفظ فى (٥٨) الدخان و(١٦) القيامة وكذلك لفظ «لسانى» فى قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ الآية (٢٧) فى طه واللفظ فى (١٣) الشعراء.

ومن عجيب ما جاء بشأن اللسان فى كتاب الله.. وصفه بأن السمعة الطيبة والذكر الحسن.. وذلك كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية (٥٠) فى مريم واللفظ فى (٤٨) الشعراء.

ومن أسفل الفم أو الشفاه نرى على الفور الأنف التى هى سبيل الإنسان لاستنشاق هواء الدنيا، والتمتع برحيق أزهارها واستنشاق عبيرها وما ينتح عن ذات الإنسان من أفعال حولت كل شىء من طيب وذات رائحة زكية إلى شىء منفر وذات رائحة كريهة، وأنف الإنسان هو تلك الآلة التى تستطيع أن تميز بين هاتين الرائحتين، وهو فى ذات الوقت أيضاً أسرع وسيلة للقضاء على البشرية كلها إذا ما انفجرت مثلا قنبلة نووية أو انتشرت فى الأجواء الحرب الكيماوية!!.

ولقد أخبرنا المعجم أن الأنف هو بالفعل عضو التنفس والشم في جسم الإنسان، وجاء ذكره مرة واحدة فى القرآن الكريم وفى قوله تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ﴾ الآية (٤٥) المائدة مكرر.

ونأتى سوياً لعضو آخر على جانب كبير من الأهمية وهو يحتل مكاناً بارزاً فى وجه الإنسان ألا وهو الأذنين. تلك الوسيلة التى بها نسمع الأشياء، كل الأشياء، بل وهو الوسيلة الوحيدة التى نعتمد عليها فى تلقى تعاليم رب العالمين خاصة المسموع منها.. وبقدر فهمنا لما نسمعه بقدر سعادتنا فى الدنيا وفى الآخرة.

ليس هذا فقط ، بل لقد خلق الله تعالى تلك الأذنين كى تتلقى آخر صيحات يوم القيامة إيذانا بالنهاية المحتومة، وتحول البشر من الدنيا إلى الأخرة.

ولن تقتصر هذه الوظيفة حينئذ على أذن الذين سوف يعاصرون هذا الحدث العظيم، بل سوف يسمعها من هم فى القبور أيضاً.

ولقد أكد لنا المعجم أن كلمة آذان وفق ما جاء بالقرآن الكريم هى جمع أذنُ ومعناها حاسة السمع، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فى الآية (١٧٩) الأعراف واللفظ فى (١٩٥) الأعراف أيضاً و(٤٦) الحج، كما جاءت فى كتاب الله، فى صيغة جمع «آذاننا»، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ الآية (٥) فصلت. ثم فى لفظ «أذانهم» فى الآية (١٩) البقرة،و(٢٥) الأنعام و(٤٦) الإسراء ،(١١) و(٥٧) الكهف و(٤٤) فصلت و(٧) نوح، ثم جاءت أيضاً باللفظ الصريح «أذن» كعضو للسمع فى قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الآية (١٢) الحاقة، وكذلك فى لفظ «هو أذن» بمعنى مستمع قابل لما يقال، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ الآية (٦١) التوبة. ولفظ : «أذن خير» بمعنى يسمع الخير ولا يسمع الشر فى قوله تعالى:﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية (٦١) التوبة، كما جاء نفس اللفظ مضافاً إليه الألف واللام «الأذن» كعضو للسمع كما فى قوله تعالى: ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ الآية (٤٥) مكرر فى سورة المائدة .

وأخيراً جاء فى كتاب الله لفظ «أذنيه» كما فى قوله تعالى : ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ الآية (٧) فى سورة لقمان.

ولتشريف هذا العضو المهم فى جسم الإنسان، فقد ربطه ربنا تعالى بالمؤذن أو المنادى وذلك فى قوله تعالى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الآية (٤٤) فى سورة الأعراف و(٧٠) فى سورة يوسف، وكذلك بمعنى «إعلام» . كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ الآية (٣) فى سورة التوبة.

** الجباه.. حيث نسجد لرب العالمين:

بالحديث عن الجبهة أو جباه البشر، نكون قد أكملنا حديث الثلاثية المرتبطة بكل

من الرأس والوجه ثم الجبهة، وإن كانت تلك الجباه تلى فى الترتيب العضوى رأس الإنسان، وكما هو واضح من ترتيب خلق الله لجسم الإنسان.

والجبهة وفق تعريفها المكانى: هى تلك العظمة البارزة فى وجه الإنسان. وهى تعلو تجويف العين، كما توجد أسفل تجويف المخ والذى يحتويه الرأس .. وعلى الرغم من أنه ليس لها أهمية طبية كغيرها من أعضاء جسم الإنسان. إلا أن لها أهمية أخرى ترتبط بالتعبير عن الخشوع لله تعالى. وذلك حين تلامس جباهنا الأرض، خشوعاً لله العظيم، وعادة ما يحدث ذلك فى أوقات الصلاة، والويل كل الويل لمن لا تخضع جبهته لهذا الخشوع الواجب تجاه ربنا الكريم. عندئذ سوف يقابله خشوع من نوع آخر فيه الإذلال والتعذيب يوم القيامة، وذلك جزاء هذا التكبر الذى صدر عن صاحب هذه الجباه وتعاليه على رب العالمين.

ولقد أشار الأطباء والعلماء إلى تعريف الجبهة.. فقالوا : إنها جزء الوجه الذى يعلو العينين، وجاء هذا التعريف فى الجزء الثانى من معجم المصطلحات الطبية.

وكما سبق وذكرنا فهم لم يتناولوا هذا العضو بالدراسة المستوفاة نظراً لعدم أهميته فى تيسير حياة الإنسان.

وفى تعريف المعجم الوجيز: أن الجبهة هى ما بين الحاجبين إلى الناصية، وجمعها جباه، ولولا أن جاء ذكر هذا المكان أو هذا العضو فى كتاب الله، ما كان له هذه الأهمية، مع العلم بأن ذكره فى القرآن الكريم جاء تعبيراً عما سوف يلقاه الظالمون من ألوان العذاب جراء مواقفهم المعلنة بشأن إنكار وجود رب هذا الكون وتعاليهم على ذات الله العليا.

ولقد ذكرت الجباه فى سورة التوبة الآية (٣٥) وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

ومن يعيد قراءة هذه الآية الكريمة ويتدبر معانيها سوف يعلم تماماً مقدار ذلك العذاب الذى سوف يصيب أصحاب هذه الجباه المتعالية والتى تنكر وحدانية رب

العـالمين، إذ سـوف يقـوم مـلائكة العـذاب عندئذ بكى هذه الجبـاة بالنار ليل نهـار، وأصـحـابهـا يقـاسـون من هول هذه النـار التى تحـرق تلك الجبـاه، بل وتحـرق كل أجـسادهم، ولكنهـا خطوات في العذاب تـبدأ بالنواصى والجباه ثم بقـية الجسم !، ونحن نعرف أنه لا خروج من هذا العذاب إلا بمشيئة الله تعالى إن أراد ذلك لأحد من هؤلاء العباد.

** الحلقوم.. ممر الحياة والآخرة:

من وجهة نظرناً، نـعتبر أن الحلقوم.. وارتبـاطه بكل من الأنف والفم والمعدة، هو الممر الآمـن أو الفتحـة التى هى همـزة الوصل بين حيـاة الإنسان ومـوته!! باعتـباره المكان المشهور فى جسم الإنسان والذى تمر منه روح الإنسان حين دخولها إليه وحين خروجها منه !.

وعلى ذلك فقد حظى الحلقوم باهتمام كـبير خاص من علماء الدين وفق ما أشار إليه القرآن الكريم فى محكم آياته وسوره.

ولقد اخترناه نحـن كذلك من أجل هذه الأهمية، وباعتبـاره من الأماكن المشهورة فى جـسم الإنسان وفى كـتاب الله الـعزيز أيضـاً.. ولعلنا نبـدأ الحديث عن الحلقـوم بالبحث عن مـعناه وموقعـه فى المعاجم اللغـوية.. هذه المعاجم التى أقرت جـميعـها تقريباً بأن الحلقوم هو مـساغ الطعام والشراب إلى المرىء. وبالتالى فهـو عضو أصيل من أعضاء جسم الإنسان، رغم عدم رؤيتنا له لأنه يوجد داخل تجويف الفم وعادة ما يعـرف بأنه الممر الخـاص بالطعـام والشـراب والهواء من الفم إلى الـبلعوم ويشـمل تجويفـه وجدرانه ما يـعرف باسم الحلق [1] معنى ذلـك أن الحلقوم ما هو إلا البوابة الرئيسـة داخل فم الإنسان والذى يسمح بمرور الأطعمـة التى نتذوقها. بل وأكـثر من ذلك يرى العلماء بأنـه البوابة الرئيسـة لمرور روح الإنسان وقت دخولهـا حين مولده ووقت خروجـها حين مماته. ولقدل أشار إلى ذلـك كتاب الله العزيز فى قـوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ الآية (٨٣) فى سورة الواقعة.

(١) معجم المصطلحات الطبية: ج ٢ .

وفى تفسيره لهذه الآية يقول الإمام النسفى : أنه إذا ما بلغت النفس والروح عند الموت الحلقوم وهو ممر الطعام والشراب ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾.. أى لمن حول الميت فى تلك الساعة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أى إلى المحتضر منكم ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾، أى لا تعقلون أو تعلمون.

وعلى نفس المنهج فى التفسير صار أصحاب الجلالين حين قالوا: فلولا إذا بلغت الروح وقت النزع الحلقوم أى مجرى الطعام وأنتم يا حاضرى الميت حينئذ تنظرون إليه، والله وملائكته أقرب إلى هذا الميت المحتضر منكم وأنتم لا تعلمون بذلك أو ترونه.

أما الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى فقد تناول فى حديثه عن الحلقوم حديثاً أهم عن الموت ومراحله التى تبدأ عند باب الحلقوم؛ ويتضح ذلك من قوله: أنه عندما يحين الأجل تبدأ أولا ساعة الاحتضار ثم تعقبها حياة القبر، ثم تنتهى هذه المرحلة بالبعث.

ويضيف أن الموت يبدأ بالاحتضار، ومعنى الاحتضار أن حياة الاختيار البشرى قد انتهت، فالإنسان فى الحياة الدنيا له اختيارات وله عقل يختار بين البدائل. ولكنه ساعة يحتضر تنتهى فترة الاختيار االتى كانت إختباراً له وإمتحاناً وابتلاء. وتبدأ مرحلة أخرى جديدة لإختيار للإنسان هما حيث يصبح مقهوراً.

والإنسان حين يحتضر يعرف يقينا أنه ميت لأنه يرى الملائكة ويرى من كون الله ما كان محجوباً عنه.

ويؤكد الإمام الشعراوى على حديثه السابق بذكر الآية التى ذُكرت بها الحلقوم فى سورة الواقعة وفى الآية (٨٣)، تلك الآية التى صورت لنا ساعة الاحتضار حيث يتم إزالة الحجب ويُرفع الغطاء ويحتد البصر، ثم يكُشف عن كل ما كان غيبياً عنا.

ويختتم حديثه بالقول بأن الإنسان فى هذه اللحظة يبدأ أولى منازل الآخرة، لأن من مات فقد قامت قيامته وعرف آخرته، وهو فى هذه اللحظة يسمع ولكنه لا يستطيع الرد، ويرى ولكنه لا يستطيع أن يروى ما يراه لأن لهم إرداكاً كما للحى

إدراك. [1]

** الأعناق.. والأغلال والكتب:

حقاً إن الله تعالى قد خلقنا وصورنا، وجعل لكل عضو أو مكان سواء بداخلنا أو بخارجنا آية لابد وأن نتفكر فيها. وذلك خروجاً بموقف ينم عن إيمان كامل بقدرة الله العظيم ونعمه الكريمة على عباده.

وتزداد آيات الله فى خلقه كمالاً كلما أخذنا نتبع ذلك الجسد الذى تجرى فى عروقه دماء.. إذا ما توقفت توقفت الحياة كلها.

وها نحن فى تتبعنا لآيات الله فى جسم الإنسان نقف أمام أحد هذه الأماكن المهمة وهو عنق الإنسان! أو ما نسميه نحن بالرقبة، والتى هى مستودع كل الأوردة والشرايين الذاهبة والقادمة من القلب ومن المخ إلى بقية الأعضاء، حاملة عصارة الغذاء والأوكسچين إلى أجل غير مسمى .. بهدف استمرار الحياة، ولا تنقطع إلا حين يشاء الله تعالى.

وفى تصورنا أن مناط تكريم الإنسان من لدن رب العالمين يتجلى وبقوة فى عنقه الذى يحمل رأسه ومن أسفله قفصه الصدرى الذى يحوى كذلك القلب أو الفؤاد.

ولنا أن نتصور أى جسد بلا عنق، أو أى شكل نتصوره فى الحياة يقوم أو يبُنى بدون عنق، فذلك فيه تشويه كبير، وكذلك يتخذ عنق الإنسان أشكالاً وأطوالاً ما بين القصير أو الطويل وما بين الكامل أو المصاب بالأمراض.

من هنا فإن هذا العنق يلعب دوراً مهماً فى حياة وشكل الإنسان واختلافه عن الآخر أو الآخرين، وهو كذلك يلعب نفس الدور وأخطر منه فى الحياة الآخرة وسبحان الله العظيم الذى جعل من أماكن مشهورة فى جسد الإنسان ترتبط بشكل مباشر بالآخرة أو بنهاية حياته وتحولها إلى العدم، أى إلى فناء ، إذ يتحول جسد الإنسان حينئذ إلى تراب داخل أتربة سبقته وخلقها الله من ملايين السنين.. هذا التحول قد لا يستغرق سوى أيام معدودة.

(١) الحياة والموت - الشيخ محمد متولى الشعراوى.

ولقد أخبرنا المعجم الوجيز بأن العنق هو الرقبة وهى وصلة بين الرأس والجسد ومنه عنق الزجاجة ومن كل شيء أوله.

ومعجم ألفاظ القرآن الكريم قد ذكر لنا أن الأعناق: جمع عنق وهى الرقبة، وجاء ذكرها في القرآن الكريم فى السور والآيات التالية: فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ الآية (١٢) واللفظ فى (٣٣) ص . وفى قوله تعالى أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣٣) فى سورة سبأ.. ثم تكرر ذكر الأغلال والأعناق فى سورة الرعد الآية (٥) واللفظ فى (٤) الشعراء و(٨) يس و(٧١) غافر، ثم جاء ذكر كلمة عنق مفردة فى سورة الإسراء وفى قوله تعالى: ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية (٢٩) وفى الآية (١٣) فى نفس السورة فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

من كل ما مر علينا من آيات وسور كريمات نستطيع أن نقدر قيمة عنق الإنسان بالنسبة لوجوده فى الدنيا وفي الآخرة، فإذا كان عنقه هو الذى يحمل رأس جسده، وهو المستودع الذى خلقه رب العالمين لحفظ أوردة وشرايين هذا الجسد كى يضمن له الحياة فى الدنيا، فإن ذلك العنق سوف يكون كذلك موضع تكريم أو تعذيب في الآخرة، إذ سوف يعلق فى عنق كل منا كتاباً يوم القيامة ومن قبل أن يحاسبنا الله تعالى.

وعندما يميل الميزان ناحية الذنوب سوف تضرب الأعناق أو تعلق بها الأغلال وصاحبها فى طريقه إلى جهنم والعياذ بالله العظيم، وأما إذا ما كثرت حسناته وقادته الملائكة مع الذين رضى الله عنهم فسوف تكرم هذه العنق وتتمتع بنعيم جنات ربنا العظيم.

ويحدثنا الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عن نوعية هذه الأغلال التى توضع فى أعناق الكافرين فيقول فى تفسيره للآية (٨) فى سورة يس: إن الله تعالى

صور لنا انكباب هؤلاء الغافلين على الكفر وإصرارهم عليه تصوير بليغاً فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ومعناها أننا جعلنا فى أعناق هؤلاء الجاحدين قيوداً عظيمة فهى أى هذه القيود واصلة إلى أذقانهم فهم بسبب ذلك مرفوعة رءوسهم مع غض أبصارهم بحيث لا يستطيعون أن يخفضوها، لأن القيود التى وصلت إلى أذقانهم منعتهم من خفض تلك الرءوس.

ولقد شبه سبحانه فى هذه الآية حال أولئك الكافرين على جحودهم.[1]

** الصدور.. مستودع الحياة :

عندما ذكر لنا ربنا تعالى الصدور كأماكن مشهورة فى هذا الكتاب الكريم وارتباطها بجسد الإنسان، لم يذكرها لنا كمجرد تجاويف تحيط بها عظام الإنسان فيما يلى عنقه، بل ذكرها لنا بما فيها من رئتين هما مصدر الحياة من حيث التنفس وكذلك القلب أو الفؤاد ودوره أيضاً فى استمرارية تلك الحياة.

ولكن الملاحظ هنا أن الله تعالى حين ذكر لنا الصدور ذكرها على أنها الرئتين باعتبارها المصدر الرئيسى لدخول الهواء وخروجه أو كونها القلب، وهذا ما أوضحه لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم والذى أكد بأن الصدور من الإنسان هى الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف، وقد أطلق القرآن الكريم هذا اللفظ على القلب لوجوده فيه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ أى قلبه الآية (١٢٥) مكرر فى سورة الأنعام واللفظ فى (٢٢) الزمر.

ولكن حين يذكر الأطباء الصدر مجرداً فالمقصود به هو ذلك التجويف الذى يعلو البطن، ويحيط به عظام القفص الصدرى، ولكن وكما ذكرنا فإن ذكر هذا المكان فى كتاب الله، لم يأت مجرداً .. بل شمل الحديث عن التنفس والوسوسة!، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية (١٢٥): ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ .

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم - المجلد الثانى عشر - د. محمد سيد طنطاوى.

ونحن نعرف أن صدر الإنسان لا يضيق إلا إذا قل الهواء الداخل إليه، كما فى قوله تعالى فى سورة الشعراء الآية (١٣): ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾.

وبخلاف هاتين الآيتين اللتين تحدثتا عن الصدور كمكان للتنفس، ذكر كتاب الله لنا الصدور في معظمها بمعنى القلوب، ولعل ذلك يتضح بقوة فى قول موسى عليه السلام ودعائه لربه فى سورة طه الآية (٢٥) :﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

وكذلك فى قوله تعالى فى سورة الزمر الآية (٢٢): ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

بل وأكثر من ذلك فقد جعل الله تعالى صدور الإنسان مستودع أسراره ونواياه الظاهرة والباطنة، ويبدو ذلك بوضوح فى عدة آيات وسور كريمات، من ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الآية (٧) وفى قوله تعالى فى سورة هود الآية (٥): ﴿وما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وفى قوله تعالى فى سورة الملك الآية (١٣): ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وبخلاف ذلك أوضح لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم الصور اللغوية التى ذكرت عن كلمة الصدور فى كتاب الله.. فجاءت «صدراً» فى سورة النحل الآية (١٠٦) و«صدرك» الآية (٢) الأعراف واللفظ فى (١٢) هود و(٩٧) الحجر و(١) الشرح. و«صدره» في الآية (١٢٥) مكرر فى الأنعام واللفظ فى (٢٢) الزمر. و«صدرى» فى الآية (٢٥) طه، واللفظ فى (١٣) الشعراء. وكلمة «الصدور» فى الآية (١١٩) آل عمران ، واللفظ فى (١٥٤) آل عمران أيضاً و(٧) المائدة و(٤٣) الأنفال و(٥٧) يونس و(٥) هود، و(٤٦) الحج و(٢٣) لقمان و(٣٨) فاطر و(٧) الزمر و(١٩) غافر و(٢٤) الشورى و(٦) الحديد و(٤) التغابن٢ن و(١٣) الملك و(١٠) العاديات.

وكلمة ﴿صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ فى الآية (١٠) العنكبوت و﴿صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ فى الآية (٤٩) العنكبوت أيضا و«صدور الناس» الآية (٥) و«صدور قوم»

فى الآية (١٤) التوبة ثم «صدوركم» فى الآية (٢٩) آل عمران واللفظ فى (١٥٤) آل عمران أيضاً و(٥١) الإسراء و(٨٠) غافر. «وصدورهم» الآية (١١٨) آل عمران واللفظ فى (٩٠) النساء و(٤٣) الأعراف و(٥) هود، و(٤٧) الحجر و(٧٤) النمل و(٦٩) القصص و(٥٦) غافر و(٩) و(١٣) فى سورة الحشر.

ومن قبل أن نترك الصدور كأماكن مشهورة فى كتاب الله وفى جسد الإنسان أيضاً كان لا بد لنا من الحديث كذلك عن الفؤاد أو الأفئدة، ومن عجيب التفاسير أن معجم ألفاظ القرآن الكريم أخبرنا بأن الأفئدة هى جمع فؤاد أى القلب، ولكن المقصود بها فى بعض آيات كتاب الله : «الجماعات»!. واستشهد المعجم فى ذلك بقوله تعالى فى سورة إبراهيم وفى الآية (٣٧) :﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، واللفظ أيضاً فى سورة الأحقاف الآية (٢٦).

وفى موضع آخر من المعجم إشارة إلى أن الأفئدة معناها القلوب. مثل قوله تعالى :﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ الآية (٧٨) فى النحل واللفظ فى (٧٨) المؤمنون و(٩) السجدة و(٢٣) الملك و(٧) الهمزة.

وفى تصورنا أن الأفئدة المذكورة هنا يقصد بها القلوب التى تستوعب الإيمان، أو بمعنى آخر تلك الأفئدة التى هى بمثابة مستودع الإيمان بالله والخشوع لعظمته، وبالتالى فهى عنوان إيمان الإنسان بربه وبملائكته وكتبه ورسله، أو بمعنى أدق هى عنوان لكل مؤمن، وكذلك لكل كافر، فإذا ما ملئ الإيمان فؤاد شخص ما منا فله أجره العظيم عند ربه يوم القيامة ومن امتلأ فؤاده بالكبر والكفر والضلال فكذلك له حساب عند ربه ، وما يوجد بفؤاد كل منا لا يعلمه إلا الله، ولكن هناك من الأحاديث الشريفة التى تخبرنا بأن إيمان العبد فى قلبه أو فؤاده يظهر على وجهه وفى أعماله الطيبة والعكس هو الصحيح!

ولقد جاء ذكر الفؤاد فى كتاب الله فى صور متعددة سواء باللفظ أو بالمعنى، فهناك لفظ «أفئدة الذين» وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز فى الآية (١١٣) فى سورة الأنعام وكذلك لفظ : «أفئدتهم» فى الآية (١١٠) الأنعام واللفظ فى (٤٣)

إبراهيم و(٢٦) الأحقاف. ولفظ: «الفؤاد» فى الآية (٣٦) الإسراء، واللفظ فى (١١) النجم ولفظ : «فؤاد أم موسى» فـى الآية (١٠) القصص ولفظ «فؤادك» الآية (١٢٠) هود و(٣٢) الفرقان، وأخـيراً ندعو الله أن نكون من أصحـاب القلوب والأفئدة التى يملؤها بالإيمان به وبكل ما يؤكد أننا أن نؤمن به و إلى يوم القيامة.

** البطون.. وعاء كل شر:

يقول معجم المصطلحات الطبية فى تعـريفه للبطن أنها أحد تجاويف الجسم الواقع بين الحجاب الحاجز والحوض .[١].

هذا التجـويف عرفنا بواسطة المعدات الطـبية الحديثـة وآلات الأشعة بأنواعـها أن بداخله أعضـاء كثيـرة وهى بحق مصنع توليد الطاقـة بكل معانيـها لحركـة الإنسان ومعيشته.

هذه الأعضـاء تنقسم ما بين المعـدة والأمعاء والكبد والـكلى والبنكرياس وصولاً إلى أماكن، الإخراج والتى تحـدثنا من قبل عن أهميتها وضـرورة الإسراع لإخراج ما فى بطوننا، فيما كان يسمى من قبل بالغائط وما يسمى حاليا بالمرحاض أو الحمام!

وبشكل عام وكما نـعرف وحتى من غير المتخصـصين من العلماء ومن الأطباء .. فإنه إذا ما صلحت البطن ومـا فيها من معدات أو أعضـاء، صلح الإنسان وجسده، وعاش فى سلام وأمان، ومعافى من كل الأمراض . ولذلك يـعتبر الكثير من العلماء ومن الحكماء وكذلك من الأنبياء أيضاً أن البطن لدى جسم الإنسان هى موطن الداء والشر والأمراض، لذلك فـإن هناك العشرات من التخـصصات الباطنيـة المنتشرة فى كل جامعات الدنيا خاصة كليـات الطب وما يتعلق بدراسة هذه البطون وما بداخلها من أعضاء من أجل العمل على معافاتها وسرعة شفاء ما بها من سقم وأمراض.

والعـجـيب أن أغلب مـا جـاء من آيات وسـور كـريمـة فى كـتـاب الله عن البطن والبطون قد أشار إلى كونه مكاناً لإقامة الوليد قبل أن يرى النور والحياة.

(١) معجم المصطلحات الطبية - ج (١).

أو بمعنى آخر فإن البطن تكون هى المستودع الخاص بإقامة الجنين منذ أن يبدأ خلقه بإرادة الله وحتى يوم خروجه.. والمسألة هنا لا تقتصر فقط على جنين البشر، بل إن الماشية والأنعام وكل دابة تحمل كائن، إنما يكون بطنها هو مستودع ذلك الوليد! مع إختلافه وتنوعه!

من هنا نرى أن معجم ألفاظ القرآن الكريم قد تحدث عن البطن باعتبارها مكان يوجد فى جوف الإنسان فى مقابل ظهره، وقد جاء هذا اللفظ فى صور لفظية متعددة، فلفظ «بطنه» جاء فى قوله تعالى فى سورة النور الآية (٤٥) ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾، وفى سورة الصافات الآية (١٤٤). ولفظ : «بطن» فى الآية (٣٥) فى سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ولفظ «بطون» فى الآيات: (١٣٩) الأنعام و(٧٨)النحل و(٦) الزمر و(٣٢) النجم، فى (٦٦) الصافات و(٤٥) الدخان و(٥٣) الواقعة. ولفظ «بطونه» فى الآية (٦٦) النحل . ولفظ «بطونها» الآية (٦٩) النحل و(٢١) المؤمنون و(٢٠) الحج.

بل وأكثر من ذلك فقد جاءت كلمة بطن فى كتاب الله بمعنى الجهة المنخفضة مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ الآية (٢٤) من سورة الفتح.

** الأيدى والأقدام .. عنوان الحركة:

ولا يكتمل جسم الإنسان إلا باليدين والقدمين التى خلقهما الله تعالى كعضوين مهمين للإنسان نفسه، باعتبارهما أدواته نحو السعى إلى الخير وكسب العيش.

وفى كثير من الأحيان تؤدى الأيدى والأرجل أو الأقدام بصاحبها إلى التهلكة فى الدنيا وفى الآخرة أيضاً.

والحديث عن الأيدى ومهامها فى الحياة الدنيا يطول ويطول، نظراً لما تقوم به وتؤديه من خدمات ليس للإنسان وحده، بل ولغيره من المخلوقات.

وتعالوا ننظر سوياً إلى ذلك الإنسان الذى يستخدم يديه سواء فى الزراعة أو فى الصناعة أو فى غيرهما من الأنشطة البشرية التى تساهم فى تعمير الأرض وارتقاء حياة البشر، أضف إلى ذلك أهمية استخدام الأيدى فى العلم والمعرفة وفى الاكتشافات بل وفى تسيير حركة الحياة فوق الأرض وتحتها.

وحتى الإنسان عندما فكر فى أن يطير نراه قد استخدم يديه فى صنع جناحين من الريش بعدما لصقهما بيديه أو بذراعيه من أجل تحقيق حلم الطيران والذى نراه حاليا فى أوجه حالات التقدم.

وهناك جانب ضبابى فى استخدامنا للأيدى إما فى البطش أو فى السرقة أو فى القتل أو فى ارتكاب الجرائم بشكل عام. ولكل من هؤلاء حساب فى الدنيا وفى الآخرة، ولكن المهم هنا أن الله تعالى قد خلق لنا الأيدى من أجل تحقيق الخير كله.

وبالحديث عن كل من الأيدى والأقدام يكتمل حديث جسم الإنسان والمهام الملقاة على عاتقه وفق خلق الله له ولدوره فى هذه الدنيا، ما دام هذا السعى لا يهدف الإنسان من ورائه إلا الخير، والقرآن الكريم قد حدثنا عن هذين المكانين أو هذين العضوين باستفاضة من خلال آياته وسوره الكريمة.

ولسوف يتضح لنا ذلك من خلال استعراضنا لهذه الآيات وتلك السور الكريمة.

وكما نعرف فإن الأيدى مفردها يد .. وقد بين لنا القرآن الكريم كيف تتحول الأيدى إلى أداة بطش وفساد. وذلك فى قوله تعالى فى سورة الروم الآية (٤١) ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

وأرجوكم اقرأوا هذه الآية بعناية زائدة وحاولوا أن تربطوا بينهما وبين ما يحدث حولنا من مصائب وفى كل المجالات ، هذه الآية نفسها قد جاءت باللفظ أيضاً فى سورة الفتح الآية (٢٠). ثم جاءت آية أخرى لتوضح لنا نتائج أعمالنا بأيدينا وذلك فى قوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية(٢).

ليس هذا فقط بل إن الله تعالى قد أمرنا بألا تكون أيدينا سبيلنا إلى الهلاك وذلك فى قوله تعالى.. فى سورة البقرة الآية (١٩٥): ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

وفى المقابل يخبرنا ربنا فى كتابه العزيز بالأفعال الطيبة الناجمة عن استخدامنا للأيدى وذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء الآية (٤٣): ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾.

وهناك استخدامات كثيرة وألفاظ متنوعة عن الأيدى فى كتاب الله العزيز غير الذى ذكرناه ومن ذلك قوله تعالى عن لفظ «أيد» فى سورة الأعراف الآية (١٩٥): ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾.

أما عن لفظ «أيديكم» فقد جاء ذكره فى أكثر من آية مثلما جاء فى الآية (٦) مكرر و(٩٤) فى سورة المائدة و(١٢٤) الأعراف و(١٤) التوبة و(٧١) طه و(٤٩) الشعراء و(١٩٥) البقرة واللفظ فى (١٨٢) آل عمران و(٧٧) النساء و(٥١) الأنفال و(٣٠) الشورى و(٢٤) الفتح ، ولفظ «أيدينا» فى الآية (٤٥) فى سورة يس و(٥٢) التوبة واللفظ أيضاً فى سورة يس فى الآية (٧١).

وهكذا فإن كتاب الله به العديد من الآيات البينات عن الأيدى بمختلف ألفاظها مع أن الاستخدام فى الحياة واحد، إما فى البطش أو فى السعى نحو الخير.

وما قلناه عن الأيدى سوف نقوله كذلك عن الأقدام التى هى في تعريف معجم ألفاظ القرآن الكريم ذلك العضو الذى نطأ به الأرض من الرجل، وهذا معناه أنها سبيلنا للسعى والتنقل هنا وهناك.

وفى كتاب الله العزيز جاء ذكر الأقدام فى سورة الرحمن الآية (٤١) والأنفال الآية (١١) ، كما جاءت الأقدام بألفاظ مختلفة وفى سور وآيات متعددة أيضاً من ذلك لفظ «أقدامنا» وما جاء بشأنها فى الآية (٢٥٠) البقرة ، و(١٤٧) آل عمران، وفى الآية (٢٩) فى سورة فصلت، ثم لفظ «قدم» فى سورة النحل الآية (٩٤). مثلما جاء فى قوله تعالى : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾.

** السوق.. عندما نكشف عنها:

ومن قبل قد ذكرنا أن هناك أعضاء فى جسم الإنسان يكون لها وظيفة أو إثنتين فقط ومنها ما له وظيفة واحدة فقط، وما نقصده هنا هى وظيفة هذا العضو لجسم الإنسان نفسه، وذكرنا على سبيل المثال.. الأعناق التى تحمل رأس الإنسان فوق جسده، وكذلك الوجه الذى به كل أعضاء حياة الإنسان من عين وأنف وفم وغيره، وهناك أعضاء خلقها الله لتكمل غيرها من الأعضاء، لذلك يسميها الأطباء بالأعضاء المساعدة ! ومنها ما سوف نتحدث عنه فى هذه الفقرة ونقصد به ساق الإنسان التى تربط ما بين ركبتيه وقدميه.

ورغم وظيفتها المحددة إلا أن عليها معولاً كبيراً فى آداء بقية الأعضاء المرتبطة بها. فلولا الساق ما وجدت الأقدام، ولا الأعناق، وما استقامت حياة الإنسان من أصله!

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق.. أن ساق الإنسان إنما هى مشارك أصيل فيما ترتكبه أقدامه من أفعال، سواء فى سلوك الشر أو الخير، باعتبارها الأداة الموصلة لتلك الأقدام، والمكملة لوظيفتها فى الحياة.

لذلك نرى أن السوق تشترك مع أقدام الإنسان فى نيل العقاب أو فى تحصيل الحسنات، وبالتالى ويكون مصيرهما واحد!.

وقد تكون الساق نفسها هى أداة تعذيب ذلك الإنسان وارتكابه لبعض المعاصى، وفق ما نراه فى عصرنا الحاضر، عندما تقدم النساء على الكشف عن سوقها، مع أنها تغطى أقدامها!!

وأعظم ما ينال ساق الإنسان المؤمن من جزاء حسن هو قدرته على استخدامها فى السجود يوم يدعى إلى ذلك يوم القيامة ، فى حين يعجز غيره عن أداء ذلك ، حتى أن أجدادنا ضربوا لنا الأمثال وجعلوها معبرة فى أمثالهم هذه عن الأمور الصعبة وشدتها، كما جعلها الله تعالى كذلك دليل على رحيل صاحبها إلى عالم الأموات، عند الاحتضار.

ولقد أوضح لنا القرآن الكريم كل ذلك فى آياته الكريمة. وسوره الشريفة فأخبرنا ربنا تعالى فى القرآن الكريم بأن هذه السوق تنذر بالخطر وشدته، كما جاء فى سورة القلم الآية (٤٢) وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وفى قوله تعالى تعبيراً عن نهاية الإنسان المحتضر فى سورة القيامة فى الآية (٢٩) مكرر﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ .

بل وأكثر من ذلك فقد حكى لنا القرآن الكريم عن هؤلاء النسوة اللائى يكشفن عن سيقانهم، وذلك فى سورة النمل فى الآية (٤٤) فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ليس هذا فقط، بل وذكر ربنا تعالى السوق فى مناسبات ومواقف أخرى ولكنها لا تعنى السوق بما نعرفه عنها وما سبق أن تحدثنا به. وإنما قصد بها أماكن لا تخص الإنسان.. من ذلك أن ربنا تعالى وفى كتابه العزيز حدثنا عن سوق الخيل مثلما فى قوله تعالى :﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ الآية (٣٣) فى سورة ص. وكما ذكرنا لنا أيضاً سوق الزروع اليانعة.. مثلما قوله تعالى فى سورة الفتح الآية (٢٩) ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾.

بل وذكرها ربنا تعالى كذلك كمصدر يدل على سوق العبد إما إلى جنة أو إلى نار وذلك فى قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ الآية (٣٠) فى سورة القيامة.

** الفروج ..بداية خلق الناس:

كان من المفترض أن نبدأ حديث هذا الفصل بما هو مرتبط بالفروج، ومفردها فرج، وذلك لأن هذا المكان الذى خلقه رب العالمين تبدأ منه أنوار حياة الإنسان من بعد خلقه فى مراحل عرفناها أولاً من كتاب الله واكتشفها العلم بعد ذلك بقرون طويلة.

والحديث عن الفروج له أهمية خاصة، لأنه يرتبط بالإنسان ومستقبل النسل! ذلك

لأن الله تعالى قد حدد لنا ما يجب أن نقوم به حيال تلك الفروج فى ضوء الشريعة السمحاء والتى تستوجب منا جميعاً الارتباط بالمرأة وأعضائها وفق ما نصت عليه شريعتنا، بل وكل الشرائع السماوية، وذلك بعدما كانت تلك الفروج مباحة فى أزمان غابرة، وبلا قواعد أو أخلاق!

ولا شك أن حرص الأديان السماوية وخاصة كتابنا العزيز القرآن الكريم على الحديث عن الفروج يتعلق وبقوة بمدى تحقيق الاستقرار النفسى والعائلى لكل البشر، كما يتعلق فى ذات الوقت بتحقيق العدالة السماوية لكل من الرجل والمرأة، مما يؤدى فى نهاية المطاف إلى تكوين الأسر والعائلات والقبائل والشعوب المتماسكة فى ظل الفضيلة واحترام النساء، واحترام أنفسنا كذلك.

ومع ذلك فإننا نرى ونسمع ونقرأ عما يحدث من تجاوزات فى هذا الشأن ونتائج ذلك.. السلبية والنفسية والعصبية، هذه التجاوزات التى ازداد معدلها فى زماننا هذا والذى نعيش فيه، مما كان له أكبر الآثار السيئة على ضيق تلك المعيشة وفسادها، فى ظل ضياع الأخلاق والابتعاد عما أمرنا به رب العالمين.

وحاول أن تفتش عن جذور أية مشكلة سواء فى محيطك أو فى محيط الآخرين، وسواء فى مجتمعك أو فى المجتمعات الأخرى فسوف تكتشف على الفور أن من أهم أسبابها هو اختراق تلك الفروج بعيداً عن الأصول والتمسك بالشرائع السماوية.

وهذا بعينه هو ما نبهنا إليه رب العالمين خاصة فى كتابه العزيز، فتعالوا نعيش فى رحاب تلك الكلمات البينات لنعرف مقدار ما نحن فيه.. على أمل التمسك بالفضائل والتعامل مع تلك الفروج وفق ما أمر به الله تعالى.

ونبدأ هذا الحديث بما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا أصحابه بأن المقصود بالفرج هو ما بين أرجل المرأة. أو بمعنى آخر : ما بين رجليها.

ولسوف نشعر بحق كيف أن الله تعالى رءوف بعباده عندما يأمرهم بالحصانة أملاً فى تحقيق العدالة والسعادة، ولقد ضرب لنا الأمثال عن تلك الحصانة المطلوبة، وذلك فى سورة الأنبياء الآية (٩١) فى قوله تعالى: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

وطبعا جميعاً نعرف أن المقصود فى هذه الآية هى تلك الشريفة العفيفة، أم النبى عيسى عليه السلام السيدة مريم، هذه الآية ذاتها قد جاءت باللفظ أيضاً فى سورة التحريم فى الآية (١٢).

ولقد مدح ربنا الكريم عباده ا لذين يحافظون على فروجهم لما فى ذلك وكما سبق وأوضحنا من خير عميم لكل البشر، وذلك فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ الآية (٥) واللفظ فى الآية (٣٠)فى سورة النور و(٣٥) الأحزاب و(٢٩) المعارج. وكما سبق وقلنا فإن الله تعالى قد أوصانا بهذه العفة وبتلك الحصانة، خاصة لنسائنا، عندما أمر نبيه الكريم بأن يقول لهن وفق ما جاء فى سورة النور الآية (٣١): ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وطبعاً هذا الأمر ينطبق على جميع النسوة وبلا تفريق.

** الجلود.. الرداء الواقى فى الدنيا فقط:

من عجائب خلق الله فى البشر خاصة فى جسم الإنسان، هو الجلد.. ذلك الرداء الذى يلف كل أعضاء ذلك الجسم، ليحقق له المئات من الفوائد.

ومن عظمة رب العالمين أيضاً.. أن خلقه للجلود لم يقتصر على بنى البشر فقط، بل امتد خلق الجلد ليشمل كل المخلوقات الحية حتى الزاحفة منها أو الطائرة.

ولقد شغل العديد من العلماء وكذلك من الأطباء أنفسهم وكتبهم وعقولهم بهذه الجلود، وذلك من أجل دراستها ومعرفة أسرارها، وكتبوا فيه أوراقاً كثيرة وبمختلف اللغات.

ومما شغل أذهان هؤلاء العلماء بشأن حديثهم عن جلد الإنسان، تشوقهم لمعرفة طول هذا الجلد وسمكه وما به من فتحات نرى بعضها ونرى الأخرى بالأجهزة أو بالعدسات المكبرة داخل الميكروسكوبات، كما شغل هذا الجلد فى ذات الوقت أذهان علماء الدين والمفسرين ومن الذين اهتموا بأحوال الناس فى الآخرة.

ومما كشف عنه هؤلاء العلماء قولهم وفق ما جاء فى معجم المصطلحات الطبية: أن الجلد هو ذلك الغطاء الخارجى الواقى للجسم، ويتكون من عدة طبقات، كما

قسموا الجلد نفسه إلى أنواع منه ما هو جلد مفرط المرونة ومنه ما هو جلد مسترخ، وهناك نوع آخر هو الجلد المجزع والذى تظهر فيه بقع عند تعرضه للبرد أو الحر، فيظهر كلون الرخام. (١)

وكما أن جلد الإنسان يلعب دوراً مهما فى حياته كعضو أو مكان رئيسى مشهور فى جسده فإنه كذلك له دور مهم فى الحياة الآخرة !!، خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين حكم الله عليهم وفق أعمالهم السيئة بدخول نار جهنم.

ليس هذا فقط، بل إن الله تعالى قد أشار إلى جلد الإنسان كمكان يعقاب بواسطته فى الدنيا أيضاً، وذلك حين يتم جلده أو ضربه أو تعذيبه بعد ارتكابه المعصية.

والقرآن الكريم قد حدثنا فى آياته وسوره المتعددة عن جلود البشر سواء فى الدنيا أو فى الآخرة، ومما ذكره هذا الكتاب الكريم وفق ما أخبرنا به أصحاب معجم ألفاظ القرآن الكريم. أن الجلود ، مفردها جلد وهو غشاء الحيوان، وقد يراد به أعضاءه.

هذا الجلد ذاته يكون فى الدنيا دليلاً على إيمان العبد وخشيته من الله، وذلك وفق ما جاء فى سورة الزمر الآية (٢٣) وفى قوله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

والحديث فى تفسير هذه الآية يطول ويطول، ولكننا قد أجملنا القول فيه حين أشرنا إلى أن جلد الإنسان يكون سبيله للخير فى الدنيا والآخرة إذا ما تأثر الذين يسمعون كتاب الله وكلامه العزيز.

ولكى تعيشوا معنا لحظات نعرف من خلالها متى يخشع جلد الإنسان لكلام الله تعالوا نقرأ كل كلمات هذه الآية الكريمة :﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

وفى تفسير الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى لهذه الآية يقول: إن من

(١) معجم المصطلحات الطبية - جزء (١) - مصدر سابق.

صفات المؤمنين الصادقين أنهم يجمعون عند قراءتهم أو سماعهم للقرآن الكريم بين الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله والرجاء فى رحمته ومغفرته، إذ إن اقشعرار الجلود كناية عن الخوف الشديد، ولين الجلود والقلوب كناية عن السرور والارتياح.[1]

وإذا ما كان ذلك هو حال المؤمنين أصحاب الجلود الخاشعة، فما بالنا بأصحاب الجلود الميتة ومن الذين لا يتأثرون بكلام الله أو تخشع له قلوبهم وكتاب الله قد بين أيضاً مصير هؤلاء وذلك فى قوله تعالى فى سورة النساء الآية (٥٦): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ هذه الآية جاءت كذلك باللفظ فى سورة فصلت فى الآيتين (٢٠) و(٢١).. كما جاء فى كتاب الله عن مصير أصحاب الجلود غير الخاشعة آيات بينات أخرى مثلما جاء فى سورة الحج الآية (٢٠) وفى قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ وما جاء في سورة فصلت الآية (٢٢) وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ .

والمعنى وفق ما حدثنا عنه الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى، أن جوارح هؤلاء الكافرين تقول لهم يوم القيامة على سبيل التبكيت: أنتم أيها الكافرون لم تكونوا فى الدنيا تخفون أعمالكم السيئة خوفاً أن تشهد عليكم ولكنكم كنتم تخفونها لاعتقادكم بأن الله تعالى لا يعلم ما تخفونه من أعمالكم، ولكنه يعلم ما تظهرونه منها، وما حملكم على هذا الاعتقاد الباطل إلا جهلكم بصفات الله تعالى وكفركم باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء،واستبعادكم أننا سنشهد عليكم.[2]

وكما سبق وذكرنا فإن الله تعالى قد حدثنا كذلك عن جلود الأنعام فى كتابه العزيز وذلك فى قوله الكريم: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ الآية (٨٠) من سورة النحل.

وفى تفسير الجلالين : إن الله تعالى قد جعل لنا من جلود الأنعام بيوتاً كالخيام والقباب، سهلة الحمل حين السفر.

---

(١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم - المجلد الثانى عشر - د. محمد سيد طنطاوى.

(٢) المصدر السابق.